

رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

INNOVATE.
START TODAY



مصرف لبنان
BANQUE DU LIBAN

www.bdl.gov.lb

الهجرة نرفاً لا يتوقف

المؤلمة عبر الهجرة غير الشرعية وبواسطة ما يسمى "قوارب الموت"، والتي استطاعت الاجهزة الامنية ايقافها والحيلولة دون وقوع مأس. واذا استطاع الامن ضبط هذه المخاطرات القاتلة، ليس من ضمان اكيد لمنع تكرار مثل امر كهذا، في ظل احباط يقوله جهارا الشباب والشابات عن ان لا امل في نهوض لبنان. حتى ان اسطورة طائر الفينيق صارت مثار تندر ونكات عند اللبنانيين. وشيئا فشيئا يتحول اليأس سمة عامة.

ما عاد تحليل ظاهرة الهجرة او مقاربتها يكون على المسار الصحيح اذا ما كان احادي الجانب، بمعنى انه يطاول فئة بعينها دون اخرى. لا بل ان هذا النزف وحّد اللبنانيين الذين قلما توحدوا حول شأن من شؤونهم انطلاقا من لبنانيتهم الصافية. لو فعل المسؤولون ذلك وقاربوا الامور من مدخل المصلحة العليا السياسية والاقتصادية والصحية والتعليمية والاجتماعية فقط، ومن دون استدعاء خارج ما، لكان لبنان لا يزال وطنا قادرا على تصدير صناعات ومنتجات، بدلا من ان يتحول الى بلد يصدر طاقات ونخبا وادمغة، ويكاد يصبح دارا للعجزة.

عناصر الهجرة معقدة، يتداخل فيها الامني مع الاقتصادي والاجتماعي. فالاستقرار والامان بكل انواعهما هما اساسها، وطالما هي على هذه الحال، فان معالجتها تبدأ من فكرة الدولة وعصرنتها. لم تعد فكرة الدولة مقصورة على ارض وشعب وسلطة، بقدر ما ان استمرارها مرتبط بمعدلات النمو والتطور الاقتصادي والصحي واحترام الانسان، وبقدر ما يستطيع هذا الكيان (الدولة) ان يكون قادرا على توفير عناصر الاستقرار المتحركة القادرة على مواهمة الحاجات مع التطور العالمي.

جرح هجرة اللبنانيين يستمر من دون ضوابط. استمرار نزف الديموغرافيا اللبنانية يعلن بؤسا محققا، لا بل مأساة رهيبية لا يمكن القفز فوقها بتبرير ظروفها. ليس طبيعيا على الاطلاق ان نراقب عدادات الخروج من لبنان مع قرار بالعودة لاسباب شتى وعند كل المكونات اللبنانية. ما يستدعي التنبيه اليه هو الميل العارم عند اللبنانيين الى تقليد الخارج اكثر من المحافظة على التقاليد اللبنانية ومط العيش، وكذلك النزوع الحاد الى اعتماد وجهة النظر الخارجية على تلك الصادرة عن الداخل اللبناني، حتى في اليوميات العادية وداخل الاسرة نفسها.

واذا كان تعلم اللغات الاجنبية ضرورة للتواصل والانفتاح على العالم، وهو كذلك، فان اللبنانيين يفعلون ما يفعلونه بهدف جلي وواضح الا وهو الاستعداد للهجرة بحثا عن وطن بديل يوفر لهم ما عجزوا عن نياله في وطنهم.

الارقام المخيفة لعدد المهاجرين اللبنانيين، لاسيما الفئة الشبابية منهم، هي انعكاس واضح لما الت اليه السياسات المتعاقبة منذ سبعينات القرن الماضي، تؤكد بما لا يقبل الشك الخيبة التي حصدها هؤلاء ممن تولى المسؤولية واضطلع بالشان العام ووضع السياسات الاقتصادية والاجتماعية للدولة. وبالقدر نفسه الذي يجب ان يتحملة اللبنانيون المقيمون والمهاجرون لانهم هم من قدموا ولاءهم للزعامات على مواطنيتهم التي كان يجب ان تكون اولاً. ذلك ان ممارسة المواطنة وحدها قادرة على فرض منطق المساءلة، وعلى تداول السلطة ورفع معدلات الشفافية في اجراءات الحوكمة. المواطنة هي السلطة الخفية في النظم الديمقراطية التي تكبح السلطة السياسية وتعسفها وفسادها. لكن ان يصبح البلد عبارة عن معازل (غيتوات)، هويتها طائفية ومناطقية وحزبية قبل ان تكون لبنانية بالممارسة، عندها تصير الهجرة نتيجة طبيعية وموضوعية لما آل اليه الواقع اللبناني.

اسوأ ما يحصل على مستوى الهجرة، هو ان بعضها كان يحمل يأسا معلنا عبّر عن ذاته في احدى المرات

إلى العدد المقبل